

تراثنا

صحار

تاريخ وحضارة

الدكتور

جون ويلكنسون

العدد العشرون

الطبعة الثانية

اٰهادیات ١٩٩٨

وزارۃ التراث القومی والثقافة
سلطنة عمان

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

كتابات

صحار

تاريخ وحضارة

الدكتور
جون ويلكنسون

المدد العشرون

الطبعة الثانية

صهار

تاريخ وحضارة

بقلم : جي . سي . ويلكنسون

في عام ٢٨٠ هـ ١٩٣ م سقطت الامامة الأولى في عمان كنتيجة للحرب الأهلية التي اندلعت في عمان . وعلى امتداد قرن ونصف القرن انتقل زمام تجارة عمان الدولية الى الاجانب أو أتباعهم ، وعلى كل فان التحول الكبير في تاريخ صهار قد حدث خلال الاحتلال الاجنبي للجزء الساحلي من عمان مما حدا بالقدسى « ص ٩٢ » الى أن يصفها بأنها « بوابة الصين ومستودع الشرق » (فارس والعراق ، ، ويستد اليمن) .

ومن الحفريات التي أجرتها علماء الآثار في المنطقة المحيطة بمدينة صهار الحالية والتي يعود تاريخها الى الفترة التي شهدت التوسيع الكبير في مجال التطوير والازدهار ، اكتشفوا بعض روائع ما أنتجته يد الانسان . وحتى هذه اللحظة وفي حدود معرفتي (لم أطلع أنا على نتائج أعمال بيتر فارس) لم يكتشف شيء ذو أهمية عن تلك المرحلة القديمة (أعمال ويلمسون ١٩٧٢ ، وأعمال جي ويلكنسون ١٩٧٥ ، وأعمال ويتكمب ١٩٧٥) . وعلى الرغم من ذلك ، كما سأحاول أن أثبته من المصادر العمانية المدونة ، كانت صهار المدينة

الأولى في عمان في مرحلة مبكرة من التاريخ^(١) وإذا لم يكن قد ظهر أى شيء من الآثار عن تلك الحقبة فمعنى ذلك أن أعمال التنقيب لم تكن تتم في الأماكن الصحيحة .

- ١ - استعان ويليمسون بالمراجع القديمة لتكوين تاريخ صحار ، وهذه المراجع تعود إلى فترة تاريخية قريبة نسبياً ولا تتضمن معلومات يعتمد بها عن الفترة التي تتناولها هذه الرسالة ، وعلى آية حال فإن هذه المعلومات ينبغي مراجعتها أو مضاهتها بالمراجع المحلية للوصول إلى فكرة صحيحة عن القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي أما عن الفترة التي سقطت هذه المرحلة فأننا لا بد أن ننول على المراجع المحلية التي هي المصدر الوحيد بالمعلومات الصحيحة والمتوفرة عن التاريخ المبكر لعمان ، ولست هنا بقصد الدخول في ترجم مفصل عن طبيعة هذه المؤلفات نظراً لأن الكاتب سيوق له أن تناولها في رسالتين سابقتين في مجلة الدراسات العربية بالجلدين الثالث والرابع ، ويكتفى أن أقول أن المصادر الرئيسية تكاد تكون في مجلتها مؤلفات فقهية باستثناء كتاب أنساب العرب مؤلفه سلمه بن مسلم العوتيي الصحراوي الذي صدر في القرن الخامس الهجري / الحادى عشر الميلادى ، وقد تم جمع هذه المعلومات للترجم في عدد من المؤلفات التي صدرت فيما بعد بينما يمكن القول أن ملخص تاريخ الامامة السياسي لن يبدأ جمعه فيما اعتقد قبل القرن السادس الهجرى العاشر الميلادى وقد توقفت هذه المحاولات بظهور ملوك النباهنة على المسرح ثم أعيدت في القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى (كتاب كشف الغمة .. الخ) ويمكن القول أن أهم مصدر ثانوى بالنسبة للتاريخ السياسي لعمان هو تحفة الاعيان تأليف الشيخ عبد الله بن حميد السالى الذى صدر في بداية القرن الحالى . أما فيما يختص بالتاريخ الاجتماعى السياسي لعمان فلا مفر من الاعتماد على كتب الفقه وعلى العوتبى بوجه خاص

عبدالساسانيين :

لعل أول تطور مبكر لمدينة صحار يرتبط بالمرحلة الساسانية الأخيرة عندما كان ميناء صحار : (الذى من المحتمل أن يكون قد سمي باسم شبيه باسم عمان) مركزا تجاريا متظولا في المنطقة التي يطلق عليها أرض الهند آى الامبراطورية البحريّة الفارسية « والّتى كانت تمتد من السندي إلى العراق وتضم السواحل الفارسية والعربية للخليج والطرق الواقعة على ساحل مكران من جهة السواحل العمانية وسواحل الجنوب العربي من جهة أخرى . ومن الواضح بالتأكيد انه في نهاية القرن السادس حتى دخول عمان إلى حظيرة الاسلام عندما تمكّن العرب من تصفية النفوذ الفارسي في عمان ، كانت صحار هي المركز الفارسي الرئيسي على الساحل مع وجود جيش نظامي عامل يتمركز في الجزء الحصين من دستجرد^(٢) بالإضافة إلى وجود مركزين ساحليين هامين أيضاً مما يتركز دما على الطرف الجنوبي للباطنة ومركز جلفار التي كانت المركز الرئيسي في الجانب العربي من الخليج . وفي الداخل كانت السلطة تتتركز في قلعة كسرى أنس شروان^(٤) التي أقامها الفرس في الرستاق والتي ماتزال قائمة حتى هذا اليوم ، بينما احتفظت الرستاق باسمها العرب . ومن هذه المدينة كان الوالي يدير شؤون الحكم تعاوّنه مجموعة من رجال السلطة الذين كانوا

٢ - كانت لفظة دستجرد متداولة جداً وتشمل مساحة جغرافية واسعة في الامبراطورية الساسانية (معجم البلدان لياقتول الحموي) .

بدورهم يديرون المقاطعة الفارسية (مزون) بطريقة مباشرة . ومن ناحية أخرى كان الحكم في الأقليم العربي شبه المستقل الواقع شمال عمان ، وميناء دبا وعاصمتها توانم واحدة البريسي) في يد شيخ أزد شنوه ، كما كانت هناك مقاطعة شبه مستقلة أخرى يحكمها الجلندي بن كركر من أزد بني سلمى وربما كانت تضم المنطقة الجنوبية الشرقية من عمان ومدخل الخليج ، انتى على أية حال لا أسعى إلى تقديم أدلة مفصلة لهذا العرض الوجيز عن الفترة التي سبقت الاسلام لأنى سبق أن تطرقت لنفس الموضوع في مكان آخر ، غير أن الأمر الجوهرى هو أن الشكل الأساسي لعملية الاستيطان في عمان قد تم وضعه قبل أن يتولى العرب حكم هذه البلاد واستمر محتفظاً بطابعه الا باضي الجديد إلى نهاية القرن الثاني الهجرى الثامن الميلادى أى إلى ما بعد الاطاحة بحكم الجلندي .

صحار كعاصمة لعمان :

أولاً أن صحار قد اتخذت عاصمة لعمان وفيها كان يقيم الولاة الذين يعينهم الخلفاء ، وعلى أية حال فقد كانت صحار تحتل موقعاً شادزاً بالنسبة للسيطرة على المجتمع القبلي العماني الذي كان بدوره يتحكم في السياسات الداخلية للمنطقة . ولهذه الاعتبارات فقد اختار الجلنديون المناطق الجبلية كقاعدة للحكم على الرغم من احتفاظهم ببعض التحصينات في صحار (كتاب جامع بن جعفر) ومن ناحية أخرى ظلت صحار تحتفظ بصلات وثيقة للأقلويات العمانية في

الخارج كالبصرة وخراسان بحيث أصبحت مركزاً للنشاط الحركة الاباضية الناشئة في أعقاب سقوط حكم المهابيين ، ومنطلاقاً . خرجم منه أول محاولة لم تعم طويلاً لإقامة الإمامة تحت حكم الجلendi بن مسعود والتى قامت في بداية خلافة حكم العباسين (جي . سي ويلكتسون) وعندما اطيح بحكم الجلديين بعد مضي نصف قرن وأعيدت الإمامة بصورة متقطدة تضافت نفس الأسباب للجلديين لتطوير عاصمتهم في داخلية البلاد واقامة مركز الحكم في نزو . وعلى الرغم من أن صحار قد فقدت دورها كعاصمة لعمان ، الا أن سمات الحكومة الاباضية قد اضطررت أصحابها الى اقامة حكم قبل غير مركز في المنطقة الداخلية ، وبالتالي فان نزو لم تلعب اي دور من أدوار البيروقراطية أو العسكرية أو سمات الحكم التي تقترب عادة بعواصم الدول ، بينما احتفظت صحار بطبعها الدولي كعاصمة اقتصادية لعمان وكبلدة وحيدة ذات تنمية مدنية متقدمة . (جي . سي . ويلكتسون ١٩٧٧ - ص ١٢٤)

صحار كمركز اقليمي :

يمكنا بحث دور صحار كمركز ثقافي واقتصادي من منطلق ارتباطها ببقية المناطق العمانية ومن علاقاتها بالخارج . وواضح أن هذين الجانبين متلازمان وعليه بالنسبة للفترة التي

١ - جي . سي . ويلكتسون ١٩٧٢ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٧ (وعلى الاخص الفصل السادس) .

تناولها هذه الرسالة بروز دور صحار بحكم سيادتها التجارية على المنطقة الداخلية من جهة ومن دورها كميناء دولي من جهة أخرى ، هذا على الرغم من وجود انفصال فيما بين دورها الخارجي ودورها الداخلي كما كان الحال على امتداد تاريخها وخلال الفترة التي خضعت فيها صحار للاحتلال الاجنبي في القرن العاشر ظلت صحار معزولة تماماً عن الاجزاء الداخلية من البلاد بينما عادت فقدت دورها كميناء دولي أثناء القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي وما بعدها .

من حيث الأساس تعتبر صحار منطقة زراعية ومراسخ لصيد الأسماك وذلك باعتبارها امتداداً للشق الساحلي المتند على ساحل الباطنة وهو المنطقة التي تتتوفر فيها وسائل الرى ، وثمة ميزة أخرى لصحار وهي أنها تستفيد من المياه الجوفية التي تصب من وادي الجزي عن طريق الآبار ومن مياه الأفلاج على الجزء الأعلى بسبب قربها من السلسل الجبلية ، ويعود تاريخ بناء الأفلاج هذه كما يقول (ميلز ١٨٧٨) نقلاً عن الروايات الشعبية إلى ما قبل الإسلام ، وقد يكون هذا افتراضاً مقبولاً نظراً لأن أكثرية القنوات التي تنقل مياه الرى قد أقيمت خلال الاحتلال الفارسي لعمان . وقد يكون غريباً بالتأكيد أن يفشل الحكام الساسانيون في تطوير مصادر الماء في منطقة العاصمة كما فعلوا في مناطق أخرى . وعلى أيّة حال فقد توصل ويلكنسون إلى أدلة أركولوجية عن أحدى العمليات الناجمة في تطوير الموارد الزراعية خلال الاحتلال الاجنبي مما يجعل مساحات المناطق الزراعية في العصور المبكرة قضية مطروحة للمناقشة في الوقت الراهن ، وأما أن

تكون المناطق المزروعة قد أهملت في أعقاب القرن الثاني عشر بحيث لم تجر أية محاولات لاعادة تطويرها حتى طلوع القرن السابع عشر (عهد اليعاربة) . ويفؤد هذا الرأى كل من تى . جى . ويلكنسون والمراجع المكتوبة التى اعتمد عليها كاتب هذه الرسالة (١٩٧٧) . ومن ناحية أخرى تشير هذه المراجع ولو بحسنة غير مباشرة أن طابع المستوطنات الزراعية في هذه المنطقة قد بدأ يظهر في بداية الفترة الإسلامية والحديث هنا عن لوى الواقع على بعد ٢٠ كيلومترا شمال غرب ومجيس الواقع على بعد ٢٥ كيلومترا جنوب باعتبارهما نموذجاً للمستوطنات التي نشأت في القرن الثاني الهجرى / الثامن الميلادى . وفي نهاية القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى قامت القوات المحتلة بالاستيلاء على المستوطنة الأولى من أصحابها الشرعيين بالقوة ، وتشير المراجع في هذا الصدد إلى قرية غضفان وهي البلدة التي قضى فيها الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي نحبه سنة ٧٨٦ هـ / ١٧٠ م كما توجد هناك مستوطنة أخرى في صحار اسمها عوتب انشئت قبل عام ٨٩٢ هـ / ٢٧٨ ، كما تفخر صلان أيضاً بإنجاب عدد من علماء عمان إلا أنهم ظهروا في مرحلة متاخرة على المرحلة التي تتناولها هذه الرسالة ، ولا يوجد أدنى شك على الإطلاق من واقع مأورد في كتب الفقه الإمامية بأن الزراعة وصيد الأسماك كانت السبل الأساسية لحياة الإنسان .

بالإضافة إلى الأهمية الاقتصادية لصحاباً فقد كانت أيضاً الميناء الإقليمي لتوام (التي تشكل واحتى الظاهره والبريمى) والتي كانت ترتبط بوادي الجزى فضلاً عن أنها كانت المركز

الادارى لهذه المناطق . واعتماد هذه الاقاليم على صحار في بداية العهد الاسلامي يؤيده الخطاب الشهير الذى بعث به النبي صلى الله عليه وسلم الى حدان وثمانة^(١) (طبقات ابن سعد ص ٣٠ جزء ٢) كما تؤكد المعلومات الخاصة بتعيين العالم الاباضي واليا على صحار عام ١٧٧ هـ / ٧٩٤ م وهو ذلك الذى حرض القبائل الشمالية على حكم الجلندي خلال الامامة الأولى ، زد على ذلك ما جاء في أحد التقارير عن المحاولات التى كان يقوم بها والى صحار ضد الجلندين الذين كانوا قد اغتالوا مساعد والى توأم خلال ولاية المها بن جifer (٢٢٦ / ٨٤١ - ٢٢٧ / ٨٥١ م) (من سيرة ابن الهوارى عن الحضارم) ومن ناحية أخرى فقد اميط اللثام عن الارتباطات القبلية التى كانت موجودة بين صحار والمنطقة الداخلية وذلك من خلال متابعة تطورات الحرب الأهلية في نهاية عهد الامامة الأولى ، ومن متابعة تاريخ الانساب للعوتبى في كتابه « أنساب العرب » فقد تكشفت معلومات جديدة أخرى وعلى سبيل المثال ما قامت به جماعة القردية والمرجنة من محاولات لانشاء مدارس لنشر دعوتهم في صحار خلال امامنة عبد الملك بن حميد (٢٠٨ / ٢٢٦ - ٨٤١ م) . اما في توأم فقد نجحت هذه الجماعة في كسب مؤيدین لها (التحفه ص ١٣٨)

١ - حدان هي المنطقة الجبلية الواقعة بين جبل اليحمد على الجنوب الشرقي وجبل كنده على الشمال في الطرف الاقليمي الذى يرتبط بطابع الاستيطان العربى الأصلى (مأخوذ عن جى. سى. ويلكسون ١٩٧٧) .

ومما هو جدير بالاشارة في هذا السياق أن صغار مركز تجاري دولي وترتبطه بمدينة البصرة روابط وثيقة كانت موطننا لعدد من الفلسفات والحركات الدينية التي أغضبت جماعات العلماء في المنطقة الداخلية من عمان أثناء الامامة الاولى .

وقد دخل عنصر جديد الى اقتصاديات صغار مصدره المنطقة الداخلية وكان هذا العنصر هو النحاس الذي كان يتم استخراجه في ذلك الوقت من منطقة وادي الجزى . ان قدم تاريخ هذا المعدن (وعلاقته باكتشاف موقع مدينة مجان القديمة) لا يحتاج الى تفصيل في هذا المضمار ، خاصة وأن تطور الوسائل التي كان يستخدمها العمانيون لاستخراج هذا المعدن تجرى الان دراستها من جانب الدكتور جيرير من متحف برجا وفي بوخم (وكان تقريره الأول قد قدم في ندوة عقدت في رأس الحمراء بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٧٧) ويحتمل أن يكون هذا المنجم قد استمر في العمل حتى بداية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي على الاقل . وهذا أمر لا تؤكده آراء المسعودي في كتابه (مروج الذهب ص ٢٤٢ فحسب بل وكتب الفقه العمانية وجامع بن جعفر أيضاً وذلك ابتداء من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي حتى بداية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي) وتضم هذه المعلومات العديد من الآراء بخصوص عمليات التعدين ، كما أن هناك اشارة واضحة الى مناجم وادي الجزى في كتاب المصنف لاحمد بن عبد الله الكندي وهي تفيد بأن أصحاب تلك المناجم في عمان كانوا

يؤجرونها نظير نسبة مئوية معينة ربما تكون نحو ١٠٪ من
صافي الأرباح^(١)

صحار : العلاقات الخارجية :

اذا انتقلنا من موضوع الاقتصاديات الداخلية لمدينة
صحار الى موضوع ازدهارها كميناء تجاري دولي ندخل في
تعقيدات كثيرة تمس التجارة الموسمية وكيفية تطورها ، والى
تطور التجارة العامة بين الاقطان الشرقي وبلدان الخليج ومدى
مساهمة العرب والى حدما الفرس في تلك التجارة والى بدایة
الرحلات البحرية المباشرة بين الخليج والصين . وقد كتبت
المجلدات عن هذه الأمور ، غير أن الأرملة الاثرية لتلك
النشاطات (والتي لم تظهر بالطبع في عمان) قد وردت في
المعلومات والتفسيرات التي وضعها كل من وليمسون ووايت
هاوس اللذين أوضحوا بطريقة مقنعة وبما يتفق مع المراجع التي
عادا اليها دور الساسانيين في تنمية العلاقات التجارية مع

١ - كما يشير المؤلف أيضا بأن المنجم الذي يتبع أهل أذكي كان
يعمل أيام حياة المؤلف ، ربما كان هذا المنجم جزءا من مجمع
القديم جدا والذي تقع بالقرب من وادي عندام . وفي العصور
المظلمة التي شهدت انهيار الجزء الأكبر من الرفاهية الاقتصادية
التي كانت تعيشها عمان وبهذا أدى ذلك الى اغلاق المناجم
نهائيا بالرغم من المحاولة التي بذلت لاعادة فتحها أثناء ولاية أبو
نبهان جاعد بن خميس الخروص (١٧٣٤ / ٥ / ١٨٢٢) وهذا يتطابق مع اراء
الصحيفة القحطانية المجلد الثالث) وهذا يتطابق مع اراء
نبيهود في التقارير التي استشهد بها ولمسندا ١٩٧٣ .

الشرق كما جاءت تفسيراتهما متطابقة في رأيى مع معلومات أخرى جرى العرف حتى الآن على تجاهلها وذلك فيما يختص بطبيعة تجارة الخليج والاطراف التي كانت مشتركة فيها .

وقد لا أطرق هنا الى هذه المشكلة وانما اكتفى بالاشارة الى التنظيم الأصلى الذى كانت تقوم عليه امبراطورية الساسانيين الملائحة والذى دعا الى ظهور اصطلاح (ارض الهند) في المراجع العربية القديمة ، وقد كان هذا التنظيم ذات طابع قومى بحت كما أدى الى ازالة الحاجز بين سكان السواحل الواقعة فيما بين عدن والبصره ومنطقة نهر الاندس . ومن خلال ذلك التنظيم ادخل العرب والفرس والهنود في اطار شبكة تجارية واحدة انعدمت فيها الفوارق العنصرية والقبلية والدينية ، وبهذه الطريقة تشجع المواطنون المحليون سواء كانوا عربا أو فرسا أو غيرهم الى ممارسة النشاطات الملائحة التجارية .

ومن المؤكد أن وصول الاسلام الى هذه المناطق قد غير من تركيب النظام القديم وساهم في نقل التنظيم الاقليمى والاقتصادى المعمول به نحو افاق جديدة ، ورغم ذلك فقد حافظ ذلك التركيب التجارى على طابعه الخاص . وقد توفر فيض من الادلة وذلك من المعلومات المفصلة التي دخلت في حوزتنا عن النظام المبكر للحركة الاباضية في البصره وكيف نجحت تلك الحركة في الافادة من التذمر الذى كان ينخر في جسم تلك

الشبكة التجارية وذلك من خلال الطريقة التي استغلت فيها الحكومة المركزية ذلك التذمر بدءاً من العهد العثماني فصاعداً (جي. سي. ويلكنسون) . ان تراجم أولئك المؤرخين العثمانيين الاولئ لم تهدف طبعاً الى شرح أساليب ذلك التنظيم التجاري غير أنها تحوى بعض الأدلة عن الطريقة التي كانت تلك الشبكة التجارية تمارس نشاطها وعن تكييفها مع الظروف المتغيرة .

اما في الخليج فقد كانت هناك ثلاثة مراكز تجارية قبل الاسلام تطورت فيما بعد الى موانئ رئيسية لتلك الامبراطورية الرئيسية وهذه المراكز هي (١) مركز الابله - البصره (٢) مركز سيراف و (٣) مركز صحار ، وعلى اية حال فقد كان لصحابار دور خاص في ذلك النشاط التجاري وذلك بحكم موقعها خارج المنطقة الرئيسية من الخليج ، فقد كانت تقع على اطراف المحيط الهندي وكانت الحركة الملاحية في هذا المحيط تخضع للرياح الموسمية ، ومن هنا فقد كان ارتباط صحار مع بلدان المحيط الهندي أقوى بكثير من ارتباطها بسواحل الخليج ، فلقد كان تجار هذه الموانئ يتحركون ضمن حدودهم فقط وكانت لهم مساكن في كثير من تلك السواحل وهكذا فعلى حين كانت التجارة الفعلية في تلك المراكز تعتمد على النظام الاقتصادي للمناطق الداخلية لتلك المراكز وعلى الامكانيات العملية للحركة الملاحية وسير السفن ، لم يكن تمويل العمليات التجارية وملكية السفن العاملة وحمولاتها مرتبطة بالظروف الاقليمية .

نعود الآن وبشكل خاص إلى ميناء صحار والى المعلومات المدونة عن تطور هذا الميناء التجارى ، وبصورة عامة توضح هذه المعلومات التطورات الكبيرة التى طرأت على صحار خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى بما يتفق مع التطور العام للازدهار الذى تحقق في ظل حكم الخلافة المركزية في العراق .

ومن الواضح على مايبدو ، أن سيراف كانت تحتل أهمية أكبر . أما في النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى فمن المحتمل أن يكون ذلك الازدهار قد تحقق بحكم ظروف عامة معينة أثرت بدورها في التجارة الملاحية وعلى الخصوص في التدهور الذي أصاب التجارة مع الصين كنتيجة لسقوط حكم أسرة تانج وتدمير مدينة كانتون في عام ٢٦٤هـ/٨٧٨م وكنتيجة أيضاً لثورة الزنج في جنوب العراق في ٢٥٧هـ/٨٧١م وأخيراً بسبب انهيار النظم القائمة في الخليج باسرها . على أنه لا ينبغي لنا التهويل بأحداث

الصين^(١) ، فقد كانت التجارة مع الصين لا تشكل الا حزءا خسريا من مجلل تجارة المحيط الهندي طبقا للمعلومات التي تعود الى عام ٢٣٧ هـ / ٨٥١ م وهي معلومات مجهرة المصدر . وعلى آية حال فقد عاد ذلك النشاط الى عهده السابق عن طريق ميناء (كلاه) الذى ربما يقع على ساحل تناسيريم في تبة جزيرة الملابي (راجع ويتمي ١٩٦١ ص ٢١٦ - ٢٤) وعلى آية حال فقد كان الجزء الامثل من تجارة الصين خلال الفترة التى يتناولها هذا البحث يمر عن طريق سيراف .

غير أنه من الصعب علينا تقدير المعلومات الأخيرة اذ انه على الرغم من أن عملية السلب والنهب التي تعرضت لها

١ - بالنسبة للتجارة مع الصين فمن الحدير بالذكر انه بالنسبة لاصطلاح السفن الصينية في معايدة ٢٣٧ / ٨٥١ هـ مما من ان تعتبر سفن الصين التجارية او السفن الصينية وبالتالي فينبع ان يؤخذ هذا الاصطلاح على انه يعني التجار العاملين في تجارة الصين . وعلى سبيل المثال فان اعادة فحص صور معايدة الدرجنى والشماخى (الذين استمدوا معلوماتهم من كتاب ابو سفيان محياوى بن الرحيل الذى كتب في بداية القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى وقد استعن بلوبيكى في مقاله الذى بين فيه انه في الوقت الذى ذكر فيه أن ابو عبيدة الصغير قد توجه بالفعل إلى الصين في رحلة تجارية ربما في منتصف القرن الثاني الهجرى / الثامن الميلادى ، والذى يرى ميمون كان أحد المساهمين يقوم بتمويل مع الصين مأخذ عن الدرجنى ص ٢٧٣ والشماخى ص ١٠٣ وكان هؤلاء التجار قد نشطوا في اواسط النصف الثاني من القرن كما يمكن اعتبار ذلك كذلك على نمو التجارة مع الصين من حيث أنها تتصل العديد من التجار ونظام مالى خاص .

البصرة كانت نكسة مؤقتة الا ان ثورة الزنج قد اشاعت الفوضى والاضطراب في جنوب العراق لفترة من الوقت وبالنسبة لصحاب وسيراً فقد تسببت تلك الاحداث في تدفق اللاجئين عليها^{١١} غير ان الوضاع في الخليج نفسه كانت تشكل مسألة خطيرة ويدرك ابن قرطبة الذي كتب (ص ٦٠) في الفترة نفسها الى انعدام الامن في البحرين كما ان هناك بعض المعلومات وان لم تكن واضحة عن التدهور الذي طرأ على التجارة البرية في ذلك الوقت في كل من قطر^{١٢} وبحرين على ساحل عمان . وأما على الساحل الفارسي فقد كانت تنشأ بعض الأسرة الصغيرة وتمارس السيطرة على الاجزاء التابعة لها على الساحل ، وكان ابرزها أسرة الصفاري .

وتشير المراجع العمانية وبعض المراجع المستقلة غير العمانية كالأصطخرى بوضوح بأن كل تلك الأسر الحاكمة كانت

- ١ - في كلا الحالتين توفرت الأدلة عن بعض الأفراد القادمين من البصرة ، وقد كان نتيجة لذلك ان انتقل العلامة العماني اللغوي ابن دريد الى موطنها مره اخرى حيث عاش سنوات عديدة
- ٢ - لقد قام فريق من الجامعة الاميركية في بيروت ب أعمال الحفر في منطقة الجميرا قربه من دبي والتي يمكن ان يربطها بمنطقة السنمة التي تحدث عنها الجغرافيون العرب القدماء (ويلكسون ١٩٦٤) ويبدو ان هذه المنطقة قد اندثرت واما بالنسبة لقطر والتي يمكن تسبيبها احدى المستوطنات الواقعة على الطرف الشمالي الغربي لشبه جزيرة قطر الحالية (ويستنفلد ١٨٨٤ - ٨٢) وربما صرف النظر عن هذه المنطقة في هذا القرن . وهذه التعبيرات ربما حدثت بسبب انهيار سلطة اتحاد عبد القيس .

من أصل عمانى كما اشار الى هذه الحقيقة شابان في
(التاريخ الاسلامي فصل ٢ ص ٩٨) .

والواقع أنه كان لكل طرف مصالحه الخاصة كما كان كل طرف يسعى إلى الاستفادة من الأوضاع الناشئة عن قيام حكم الصفاريون وصراعهم مع حنضلة بن تميم الذي ينتهي إلى الأسرة الواسعة الثراء التي كانت تستوطن اصطخر وكانت يربطها حلف قوى مع الأسرة الحاكمة في سيراف . أما بني عمارة الذين كانوا مثلكم مثل الصفاريون ينتمون إلى أسرة الجلندى بن كركمن قبيلة بنى سلمى والذين نزح أفرادها من عمان وأقاموا في ساحل كرمان خلال الفترة التي سبقت الاسلام (مع احتفاظهم بالطبع بروابطهم الاسرية مع بنى سلمى الذين بقوا في عمان - العوتبي) فقد أخذوا في تدعيم سيطرتهم على مداخل الخليج (وكان مقرهم الرئيسي مدينة هزو الواقعة أمام مدينة قيس) بينما كانت لهم استحكامات وقواعد حصينة في منطقة ركدان وكانت تلك التحصينات على جانب كبير من المناعة والقوة كما يذكر الاصطخري ص ١١٦ - ١١٧ / ١٤١ / ١٤٠ وأيده في ذلك ياقوت في كتابه « معجم البلدان » ، كما كانت تلك الأسرة تقوم بتحصيل الرسوم على السفن التي تعبّر مياه الخليج . هذا العامل إلى جانب الهجمات التي كان يشنها حنضلة ارغمت الصفاريين الذين كانوا في ذلك الوقت يسيطرون على ساحل بن صفر على تشكيل حلف مضاد مع مجموعة جلندية أخرى كانت تسيطر بدورها على

منطقة رمله الخيران في فارس . كل تلك الأوضاع كانت على مايبدو سببا في تعقيد الامور وعدم التشجيع على تدفق التجارة ولكن ما هو جدير باللاحظة اذا نظرنا الى المشكلة بشيء من التدقيق نجد بأن المحصلة النهائية لتلك الأوضاع كانت في مصلحة صحار . الواقع ان العمانيين كانت لهم علاقات طيبة مع بنى عماره (الذين ظلوا محافظين بنفوذهم حتى بعد سقوط حكم الصفاريين) كما أن ميناء هذه الاسرة كان يقع خارج حدود منطقة نفوذ الجنديين . وعلى التقىض من ذلك كانت سيراف معزولة عن المحيط الهندي بحكم السيطرة الجنديه . ولكنني لا أعني بهذا القول بأنه كانت هناك حرب تجارية مدبرة بين المينائيين أو أن العمانيين أو بالاحرى الجندي بن كركر كانوا يعملون على اقامة حلف مضاد ضد بنى عماره بهدف تحويل مسار تلك التجارة وإنما على العكس من ذلك فقد كانت سيطرة بنى عماره على مدخل الخليج هي التي تؤثر تأثيرا ضارا على كل من سكان صحار والصفاريين وعلى أية حال فان القرارات التي اتخذت كنتيجة لتلك المصالح قد ساهمت في توجيه النشاط التجارى لصالح صحار وقضت على ما كانت تتمتع به سيراف من ميزات . وهكذا فابتداء من منتصف القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى تحول ميزان المركز التجارى لتوزيع السلع نهائيا لمصلحة صحار بحيث غدت في آخر الأمر أهم مركز للتجارة فيما بين الاقطار الاسلامية والمناطق التي تخضع فيها الملاحة للرياح الموسمية سواء كان ذلك في اطار منطقة الخليج أو خارجها .

ان النفوذ الناتج عن تراكم الثروة داخل النظام السياسي القبلي في عمان غير مطروح للبحث في هذا المجال ، الا أنه لابد من الاعتراف بأن ذلك العامل كان من بين الأسباب التي شاطرت في تفجير الحرب الأهلية في أواخر سنة ٢٧٠ هـ وأن النداء الذي وجهه الشماليون الى الحلفاء بعد الهزيمة التي منوا بها في صحار عام ٢٧٨ هـ / لم يد المساعدة اليهم كانت أشبه بنفحة من السماء للعباسيين كى يتحركوا بسرعة للسيطرة على السواحل العمانية ولزححة العمانيين من أهم موقع اقتصادي في بلادهم .

كانت هذه المقدمة العامة للأحداث وتنتقل الآن إلى بحث العوامل المحلية التي كانت توجه وتسيطر على نمو صحار ولنتعرف على رأي العمانيين أنفسهم في هذا الموضوع .

الأسطول العماني :

لقد لعبت القوى المحلية دورا ملحوظا في تطوير ميناء صحار كما سبق أن نوهنا ، في الوقت الذي كان للبحرية العمانية والظروف الاجتماعية والاقتصادية في عمان تأثيرها على التجارة .

وعلى عكس الأدلة التي توفرت لدينا عن أسطول عمان التجارى فإنه لا توجد معلومات يعتمد بها بشأن القوة البحرية العمانية خلال الفترة الأولى من الإسلام أما إلى أي مدى

انتقلت السفن التابعة لأسطول الساسانيين الى أيدي العمانيين فمسألة لا يمكن التكهن بها ، الا أنه من الواضح أنه كانت هناك مساندة بحرية من جانب العمانيين في حملات القائد العربي عثمان بن أبي العاص الثقفي ضد السواحل الفارسية وذلك بقوات بحرية تم تشكيلها من البحرين وعمان . ومن ناحية أخرى فان الحملات الأولى التي قام بها الحلفاء لوضع حد لأعمال القرصنة التي كان يقوم بها حاكم السند على أسطول المسلمين التجارى لم تنجح في البحر ، بينما نجحت العمليات التي اتخذت على البر في سنة ٥٩٢هـ / ٧١٠م . على أن أول دليل واضح عن نجاح العمانيين في انشاء قوة بحرية فعالة قد تم خلال المحاولة الفحصيرة لاقامة الامامة في بداية عهد العباسيين وتمثلت تلك المحاولة في ارسال حملة الى سقطره وقام بها الجندي بن مسعود وتمكن تلك الحملة من فرض الحصلح على المسيحيين في تلك الجزيرة (جامع بن جعفر) . غير أن أسباب ارسال تلك الحملة لم تعرف وربما تعود الى قيام أهالى الجزيرة بهجمات على السفن العمانية والحضرمية العاملة على الساحل الشرقي لافريقيا ويبدو أن اتفاقية السلام قد استمرت اذ أنه خلال امامنة الصلت بن مالك الخروصي ثار سكان سقطره وقتلوا الوالي العماني فيها ، الأمر الذي تطلب ارسال حملة أخرى قوامها ١٠٠ سفينة لقمع التمرد (التحفة ص ١٦٨) .

خلال المرحلة الأولى من هذه الامامة لم يكن الاسطول العماني على درجة كبيرة من الفاعلية وكان يعتمد على عمليات

تجميع سفن من القطاع الخاص ، غير أن تطورا هاما قد طرأ على ذلك الاسطول بعد أن استتببت دعائم الأماماة ، ففي شتاء ٢٠١ هـ / ٨١٧ م ركز الامام غسان بن عبد الله كل اهتمامه على صغار (١٩٢ - ٢٠٧ / ٨٠٨ / ٨٢٢) وقد أمضى خمس سنوات في إعادة تنظيم شؤون المنطقة وكان من أولى مهامه اعداد اسطول كبير للقضاء على أساطيل القراءنة الهنود الذين كانوا قد أقاموا قواعد لهم حول المنطقة الواقعة على مدخل الخليج وكانوا يشنون هجمات منها على السفن العابرة (التحفة ص ١٢٣ فصل ١) المرجع كلين ص ٤٦ في معرض تعليقه على « كشف الغمة » ص ٢١ وقد قام الامام مهنا بن جيفر بمحاولة لتعزيز هذا الاسطول (٢٢٦ - ٢٢٧ / ٨٤١ - ٨٥١) واستطاع تجهيز ٣٠٠ سفينة حربية (التحفة فصل ١ ص ١٥٠) .

الأحوال الاجتماعية – الاقتصادية :

المعلومات عن النشاط التجارى للعمانيين معلومات متفرقة ويوجد أغلبها في مؤلفات الفقه العمانية بصورة خاصة وهي كلها تؤكد ما هو معروف بالفعل وبالتالي فلا حاجة بنا الى الدخول في تفاصيل ذلك أو شرحه . وهناك مجموعة كبيرة من المعلومات عن النشاط التجارى العماني مع سيراف وال العراق والسندي طوال القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى . وتغدو بعض هذه المعلومات تواجد اقليات عمانية تعيش في عدن وفي الشحر على الساحل الجنوبي الغربى وفي ديبول على مصب

نهر الاندلس خلال منتصف القرن . وكانت تجارة عمان مع الدول الواقعة خارج محيط الأقطار الإسلامية تتم على أساس « اتفاقيات أمان » تعدد بين الاطراف المتعاملة وتجدد سنويًا تلقائياً من الوجهة النظرية ، كما كانت هناك اتفاقيات منتظمة بالفعل مع كل من أفريقيا والهند . ومن ناحية أخرى يذكر ابن جعفر بأن الصين كانت في ذلك الوقت تعتبر منطقة حرب مؤكداً بذلك أن المسلمين لم يعودوا يتوجهون إليها أو يتعاملون معها .

وبين حين وأخر تلقى هذه المؤلفات الفقهية بعض الضوء على المشكلات التجارية لعمان . وعلى سبيل المثال ما كان ينشأ من مشكلات خلال منتصف ذلك القرن ويحدث ذلك عندما يقوم أحد التجار بحجز مكان له في أحدي السفن الرئيسية في ميناء البصرة والتوجهة إلى سيلان ، ثم بعد ذلك يغير رأيه عند وصول السفينة إلى ميناء صحار . وبما أنه من المتفق عليه أنه ليس في وسع أحد أن يرغمه على مواصلة رحلته خصوصاً إذا قام بتضليل ماعليه من تعويضات عن الغاء رحلته . إلا أن هذا التصرف كان يؤدي إلى نشوء مشكلة أخرى وهي كيفية التصرف بحملة السلع التي تخذه والتي تكون عادة مخزونة داخل السفينة ، إذ أن عملية تفريغها يسبب عطلاً وتأخيراً ويكلف نفقات كبيرة غير أن حل هذه المشكلة كان يتم عادة بتعيين أحد طاقم السفينة كقيم على السلع للإشراف على كيفية التصرف فيها على أن يتحمل رب المركب مسؤولية نقلها كما لو كان صاحبها التاجر موجوداً بنفسه على ظهر السفينة (من كتاب المصنف - لاحمد بن عبد الله الكندي) وكما كانت هناك إقلبات

عمانية تعيش خارج موطنها ، كانت صحار هي الاخرى موطنًا للعديد من الجنسيات الوافدة . ومن بين الاقليات التي كانت تعيش في صحار في بداية الامامة جالية كبيرة من اليهود وأخرى من الهنود الوافدين من السند وكانت الأخيرة هي بقایا الحملة التي اشتركت ضد الجلندي في توام كما أسلفنا غير انها اخذت تتصرف بطريقة تتعارض مع التقاليد العمانية . وعلى اية حال فقد كان الوضع في صحار يشكل عبئاً على جماعة العلماء العمانيين في داخلية البلاد نظراً لأن صحار كانت تعج بالاجانب . ولم يكتب لمحاولة الوالى ابن مروان فرض حكمه على أهل البلاد خلال إمامته فقد عزل عندهما تولى الصلت مقاليد السلطة ، زد على ذلك أن تلك الخلافات بين الاهالى والوالى كانت تقع كثيراً أثناء المرحلة الأخيرة من حكم الصلت .

الحكم الشرعي :

وعلى حين لا تجود المصادر المحلية الا بالنذر اليهير من المعلومات عن النشاط التجارى فانها تقدم لنا فيضاً من المعلومات عن التشريعات التجارية المعمول بها في صحار ولهذا الموضوع جانبان قوانين الاجراءات التجارية وقوانين الضرائب المفروضة على المعاملات (١)

١ - هذه الاسرة تنحدر من عروة شقيق التوحيدى العظيم أبو بلال مرداس وقد كانت انتقادتهم ضد النظام الاستبدادى والذى على رأسه عبيد الله بن زياد قد أدى في النهاية إلى اعظم عملية استشهاد في التاريخ وذلك في عام ٦١ بعد الهجرة .

أما الجانب الأول فهو متسع جداً ويهميء مجالاً واسعاً للبحث في التشريعات المتعلقة بمثل هذه المسائل كالقروض والسلف وحق الشفعة والخيره وعقود عمليات النقل وما شابهها من شئون وهي كلها تستمد سماتها من قوانين الفقه الاباضية.

ولقد عكفت شخصياً على دراسة هذا الموضوع على ضوء قانون الأراضي وبالتالي فما توصلت إليه من القانون التجارى المعمول به حينذاك يؤكّد الفكرة التي كونتها عن الموضوع الأول وهي أن الاباضية لا ترتكز على الجمود التشريعي بقدر ما تسعى إلى التقرّيب بين الطبيقات القائمة في إطار مبادئ الإسلام الأساسية وتحقيق أكبر قدر من العدالة في المعاملات . فان لم يتوفّر هذان الشرطان فان القوانين العرفية تعتبر بدليلاً مقبولاً وبالتالي يمكن اتخاذ القرارات باخضاعها لآراء المختصين في هذه الأمور .

وعلى أية حال فان قانون الضرائب لم يكن مسألة ضمنية بل كان موضوعاً أساسياً داخل علم الفقه الاباضي الذي يصر على التمسك الكامل بالمبادئ الأساسية للضريبة الإسلامية ويعارض ما يسمى بالملوس المعمول به في الأقطار الأخرى (فورداند ١٩٦٦) وكما يشير ابن خلدون في الفصل الرابع ص ٤٨٩ - ٥٠ أن هذه التشريعات كانت لصالح التجار إلى حد كبير ويفيد ذلك الثروات الضخمة التي جمعها رجال الأعمال في صحار خلال عهد البوهيميين بالرغم من وجود نظام ضرائبى

غير ملائم . اما الاساس الذى كان يتم بمقتضاه سن التشريعات الضرائية بالنسبة للجانب فى عهد الامام غسان بن عبد الله في صحار فيما بين عام ٢٠١ و ٢٠٦ فهو بأغلبية الرأى بين جماعة العلماء المختصين في هذا المجال غير أن هذه التشريعات لم يكتمل صدورها في عهد الامام الصلت الذى عين أكبر علماء الفقه العمانيين وهو أبو عبد الله محمد (نجل آخر الإمام من أصل بصرىوى وهو الإمام محبوب بن الرحيل) وكان قاضيا في صحار سنة ٢٤٩هـ . وقد شغل هذا المنصب حتى وفاته ٨٧٣هـ / ٥٢٦٠ م ويمكن العثور على مجموعته الواسعة للتشريعات الضريبية (وغيرها من الشئون ذات الصلة بها) في مؤلف جامع بن جعفر الذي يعود تاريخه إلى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى وفي مؤلف أبو الحسن البسيانى الذى يعود تاريخه إلى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى وفي مجموعة منشورات المشايخ وربما (أضيفت إلى تلك المؤلفات بعض التفسيرات من مؤلفيها ، غير أن واضح أساسها هو أبو عبد الله محمد) .

قانون الضرائب :
المبادئ الأساسية لتحصيل الضرائب :

يدفع التجار المسلمون $\frac{1}{2}\%$ كضريبة على مواردهم النقدية وعلى التقييم النقدي لما في حوزتهم من ممتلكات بشرط

أن تكون تلك الأموال في حوزتهم لسنة كاملة^(١) ويخصم من الضريبة الديون والسلف ، كما أن بعض السلع لا تعتبر سلعا الا بعد دخولها في حيز البيع والشراء وهي تقتصر أساسا على المنتجات الطبيعية للبحر كاللالئ والعنبر والأشجار البرية كاللبان والاصباغ . أما الحل فهى موضع جدل ، غير أن القانون بالنسبة لهذه السلعة هو انه اذا كانت تقدما وتحتفظ بها بطريقة مميزة فانها تخضع للضريبة . اما في الاتفاques التي تمس الشركاء التجاريين فان الضريبة لا تستوفى الا اذا كان قد مضى على حوزة السلع لدى الشركاء عام كامل . ويفصل القانون الضريبي بين الممتلكات الشخصية ورأس المال الذى يائى به صاحبه من الخارج لاستثماره في عمان ، ولا يميز القانون في الاستحقاق بين السلع الوارده برا أو تلك الوارده عن طريق البحر اذ تعتبر كما لو دخلت البلاد عن طريق البر فلا تستحق الضريبة عليها الا بعد حيازة أصحابها لها لسنة كاملة ، ويدفع العرب المسيحيون ضعف ما يدفعه المسلمون . الذميين يدفعون الجزء (التفاصيل سقطت) .

اذا حضر أحد الذميين الى عمان وأقام فترة تقل عن ثلاثة أشهر فلا يخضع للضريبة ، اما اذا زادت اقامته على تلك الفترة فتستوفى منه بأثر رجعي ابتداء من يوم وصوله ، اما اذا توجه

- ١ - كانت سنة الضريبة تبدأ من شهر رمضان وسبب هذا التحديد هو ان الامامه نشأت فيه على اثر خلع الجلندى في شهر رمضان . ٦٨

الذمى الى الخارج الى بلد اسلامى آخر فعليه دفع المستحقات عليه هناك . أما اذا توجه الى بلد غير مسلم فالضريبة تستحق على ممتلكاته اذا ترك أسره أو ممتلكات في عمان ، والا فيعفى من دفعها عن المده التى يتغيب فيها عن البلاد .

اما اليهود والسلع التي من أصل يهودى فلها نظام خاص (لم ترد تفاصيلها) .

التجار المنتمون الى الاقطان غير الاسلامية (اي من بلاد دار الحرب) تتم العمليات التجارية أساسا كنتيجة لاتفاقات متباينة يتم التوقيع عليها تحت بند قانون الامان المشار اليه آنفا . والبنود الاساسية لهذا القانون كالتالي :

١) وجهة النظر الأساسية هو أن التجار غير المسلمين يدفعون نفس الضريبة التي يفرضها حكامهم على التجار المسلمين المقيمين في أراضيهم ، وصغار على ما يbedo المكان الوحيد الذي يسمح لهؤلاء التجار بممارسة التجارة .

٢) البضائع غير الاسلامية الموجهة للتجار المسلمين في عمان يتم دفع الضريبة عنها بمجرد أن يتم بيع السلع أو تتحول الى اشكالات أخرى (اي تصنف مثلا) أما اذا لم يتم بيع تلك السلع فان الضريبة عليها تستحق بعد مرور عام عليها .

٢) البضائع المروية (الترانزيت) وال媿ة الى البلدان الاسلامية الأخرى (بالاخص فارس والعراق او سيراف والبله في البصره) تخضع للضريبة على أن تكون فترة الترانزيت أقل من سنة .

٤) البضائع المروية بين بلدان غير اسلاميين (على الارجح الهند والزنج) والتى يجرى نقلها عن طريق صحار للضريبة ولا تخضع لفترة سماح .

٥) التجار العمانيون العاملون في الخارج : التجار العمانيون المسلمين يمكنهم أن يقيموا خارج عمان ، غير أنه غير مسموح لهم الإقامة الدائمة في بلاد غير المسلمين . وعند عودة التاجر العماني إلى بلده تجبى منه ضريبة الزكاة عن كل المدة التي قضاها في الخارج .

وهناك بعض الخلاف حول ما اذا كانت الضريبة المستحقة منه تقدر على أساس مدة تقل عن السنة(او ما اذا كان قد أقام في الخارج مدة خمس سنوات وسبعة أشهر) غير أن القانون حول هذه المسألة قد أعيد النظر فيه وأصبحت الزكاة تستحق عن كل سنة كاملة . وعلى نفس المنوال فلو أنه كان يقوم ببرحلة واحدة الى الخارج خلال السنة الواحدة فلا تستحق الضريبة عليه قبل مضي السنة بأكمليها .

ويجوز للعماني أن يدفع ضريبة الزكاة للفقراء في بلد كالشحر فإذا أثبت انه قد دفع تلك الزكاة في الشحر أو اليمن فأنه يعفى من دفعها في عمان . ولا يدفع العماني أية ضريبة عن سلع في حوزته للتجار المسلمين المقيمين في الخارج (وبالاخص العراق واليمن) .

التجار العمانيون غير المسلمين :

ان القوانين المطبقة على العمانيين تسرى على غير العمانيين ، بمعنى انهم لا يدفعون ضريبة الا بعد أن يكون قد مضى على دخول السلع الى حوزتهم في عمان سنة كاملة .

وبالنسبة لهذه القوانين فثمة نقطتان سنشرحهما هنا .
من الواضح انه كانت هناك ثلاثة مناطق تتاجر مع عمان او عن طريقها ، وكل واحدة منها أدت الى سن مجموعة من قوانين خاصة بها .

الأولى : تشمل البلدان غير الاسلامية التي لم تدخل في معاهدات صلح مع دار الاسلام وبالنسبة لهذه المجموعة من الاقطارات فان العمليات التجارية تتم على اسس متبادلة عن طريق عقد اتفاقيات خاصة تتجدد من الناحية النظرية سنويا .
ودار الاسلام او عاصمة الاسلام هي نفسها تنقسم الى جزئين ، المناطق التي يسود فيها التشريع الاباضي وتلك التي لا يسود فيها مثل هذا التشريع ، وبالنسبة للمرحلة التي يتناولها

هذا البحث فان هذه المناطق تشمل جنوب شرقى شبه الجزيرة العربية ، وهذه الاعتبارات تفسر تطبيق دفع الزكاة على سكان عدن والشحر ، ولهذا السبب فان الضرائب التى كانت تستوفى من السكان لم تكن تعتبر زكاة حقيقة وللهذا السبب لم يكن العمانيون القادمون من تلك المناطق يعفون من أداء الزكاة عند عودتهم .

وفضلا عن ذلك فانه واضح من قوانين الضرائب المشار إليها سلفا انه كان هناك شكل من التفاهم حول تلك المسائل التى تمثل ازدواجية في الضرائب والسلع المرورية بين العمانيين وغيرها من الحكومات التى تحكم في موانى الخليج .

النقطة الثانية ، هو توجيه النظر الى الحقيقة الثابتة وهو أن صحار كانت تعتبر الميناء الدولى لعمان وان هذا لا يعني انه لم تكن هناك موانىء أخرى ثانوية وانما كان يتعين على الحركة التجارية الرئيسية في المحيط الهندي أن تمر عن طريق صحار . اما اذا كانت تلك سياسة مقصوده أو انها كانت مجرد عملية تنظيمية فقط فان الأمر لا يهم كثيرا . فلقد كانت صحار ميناء دوليا هاما خلال القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى / ولم يكن له ميناء منافس آخر في كل عمان .

معلومات عن موقع الحضارة التجارية في صحار :

المسألة التي تبرز الآن هي لماذا أخفقت المحاولات التي بذلت حتى الآن لاكتشاف موقع صحار القديمة . هناك أسباب عديدة بهذا . فعلى سبيل المثال كان الموقع القديم لصحار محدود المساحة نسبياً بالمقارنة إلى التوسيع الذي شهدته القرن العاشر والبقاء الخزفية تشمل في الحقيقة مظاهر النمو لعهد الامامه الأولى (هذا الآثار الخزفية على ما يبدو ولا تحمل تاريخاً دقيقاً بأى حال من الأحوال) فإذا كان هذا صحيحاً فانه يكون أكثر غرابة لأن الاعمال الحفرية لم تكشف عن شيء في حين أن سيراف التي لا يعرف الكثير عن تاريخها المبكر قد كشفت أعمال الحفر فيها عن آثار هامة ترجع إلى العهود الساسانية (هوانت هاووس ووليمسون ١٩٧٣) والبرامج الآنفة الذكر) .

وردي على هذا السؤال هو أن العمليات التي تمت كانت تتم في المكان الخطأ وهناك عدة اعتبارات لهذا الاستنتاج هي :

- (١) تقع صحار في شريط أرضي متواصل من المناطق الزراعية على ساحل مفتوح . فالموقع الذي تقع عليه صحار الحالياً يفتقد عناصر التجانس سواء من حيث توارد المياه أو الزراعة أو التسهيلات المبنائية .

جرت العادة في التاريخ الإسلامي أن يقوم أي نظام أو حكم جديد بانشاء مناطق عمرانية منفصلة عن المناطق القديمة . وبالنظر الى مظاهر التطور الهامة لميناء صغار والمنطقة الداخلية الزراعية التابعة لها خلال القرن العاشر فإنه من المحتمل أن تكون المراكز الرئيسية للمدينة قد نقلت الى مكان آخر .

ان الجزء الاكبر من المستوطنات القائمة على ساحل الباطنه مبنيه من سعف النخيل وبالتالي فان المنطقة الوحيدة التي تضم مبان ثابتة خلال المرحلة المبكرة ربما تكون محصوره داخل المنطقة المحصنه « لدستجرد » وجزء من منطقة السوق ، وأما اذا كان الحصن الذى نعرف انه كان موجودا هناك في المرحلة الاسلامية الأولى هو نفس الحصن الذى انشأه الساسانيون او أنه حصن آخر فان هذا الأمر لم يتضح (ومن المحتمل بطبيعة الحال أن مجتمع الحصن القديم يقيم تحت الحصن الحالى وبالتالي فليس من المستغرب انه لم يكتشف) .

لقد تعرضت صحار للدمار أكثر من مره خلال القرن
الثالث الهجرى / التاسع الميلادى (التحفة ط ١
ص ١٦٣ - ١٦٤) فقد أتت النيران على كل المنطقة
الواقعة بين الخورين على الأقل في احدى المرات ، ثم



٦ شارع البرامونى - عابدين - القاهرة ت: ٩١٤٨٨٩

3.53

Bibliothek Alexander



0244081